

لغة الإعجاز

يقول كثير عزة:

لَمِيةٌ مُوحِشًا طَلِلُ
يَلُوحُ كَأَنَّهُ خَلِلُ

هل يختلف المعنى البلاغي بين مجيء الصفة لموصوفها، و وقوعها حالا عند تقديمها على المنعوت؟

لَمِيةٌ طَلِلُ مُوحِشٌ
لَمِيةٌ مُوحِشًا طَلِلُ

النحو التعليمي لايفرق، ويرى أن الحال المنقلبة عن الصفة تدل على المعنى نفسه، ولكن نحو المعاني لابد له من تفريق،

وهذا السؤال يفتح لنا فهم أفق الإعجاز في سر مجيء قوله: { وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ } {

على هذا النحو من الترتيب الدقيق!

ولا يصح سواه من احتمالات التركيب نحو: (ولم يكن له أحد كفوا) ، (ولم يكن أحد له كفوا) على احتمال أن تكون شبه الجملة ” له ” صفة تقدمت على موصوفها فانقلبت حالا، وفي التركيب الآخر ” ولم يكن أحد له كفوا ” تحتل النعت لما قبلها أحد..

والبيان المعجز الدقيق أحكم دقة النظم في الاختيار؛ لما يتولد من التراكم الأخرى المحتملة- لو جاءت- من اختلال المعنى.

والإعراب في العربية مظهر من مظاهر الإعجاز الذي هيأها الله به لتكون وعاء البيان الإلهي المعجز الذي تفصح عنه، دون غيرها من سائر اللغات.

وللكلام تنمة حول هذه الآية وما فيها من دقائق النظم والإعجاز.

وأما في هذا البيت؛ فإن في مجيء الموصوف أولا ثم الصفة دلالة على أن موضع العناية في الكلام هو الموصوف وأن الصفة تابعة له ؛ فالموصوف هو محور الحديث، لأنه هو المتعرض للعوامل النحوية المختلفة، وتدل تبعية الصفة للموصوف على ارتباطها به، وأنها عنصر موضح أو مبين أو مفسر للصفة، فهي هنا – كما قال النحاة – كالحلية للموصوف.

فالتركيز في الكلام على أصله لوجاء: لمية طلل موحش؛ متجه إلى الطلل وأثره في نفس المتكلم.



أما في قول الشاعر: (لميّة موحشًا طللُ) فإن في تقديم الصفة من كونها تابعا إلى كونها مستقلة بنفسها حالا؛ إشارة عناية واهتمام بالصفة في الأصل والاهتمام بها على الموصوف؛ فحالة الإيحاش الظاهرة البارزة على الطلل هي موضع التأثير في نفس الشاعر فقدمها في الذكر منتتصة في الحال، والحال هنا موضع العناية لديه لا صاحبها، فتأمل.

وبناء عليه؛ إذا أردنا التركيز على الموصوف أتيننا بالتركيب على أصله؛ وإذا أردنا مزيد عناية بالصفة قدمناها على الموصوف وقلبناها حالا متقدمة على صاحبها، الذي كان موصوفا في الأصل.

أرأيتم لغة من لغات العالم كهذه في تراكيبها مرونة، وفي معانيها عذوبة، والمعاني فيها ملوك الكلام تسير التراكيب وفق ماتريده، مراعية حالة الخطاب وما يقتضيه السياق، مع إحكام للمعنى من خلال ثراء الإعراب فيها، على نحو دقيق وعجيب!